جامعة الانبار- كلية الآداب ـ قسم التاريخ ـ المستوى الدراسي الاول

مادة: الجغرافية التاريخية

مدرس المادة : د. اسامه محمد عبد القادر

المحاضرة الحادي عشر

م/تطور الحضارة في مصر

كان لموقع مصر اهميته في التطور الحضاري ،فموقعها في شمال شرق افريقيا جعلها نقطة اتصال بين قارة اسيا والشاطئ الشرقي للبحر المتوسط وبين قارة افريقيا .ويتميز موقع مصر بشيء من الحماية ،فالصحراء تحيط بها من الشرق والغرب ،وفي الشمال يحدها البحر المتوسط ،وفي الجنوب توجد الصحراء ايضاً ومجرى النيل ،وقد ساعدت تلك المواقع على تطور الحياة وعلى تقدم الحضارة التي كانت تنعم بفترة هدوء الى حد ما ،لم تعرفه الكثير من حضارات العالم القديم غير ان هذا الموقع كانت له بعض السلبيات اذ بدأت في العصور التاريخية تتعرض للغزو الخارجي ورغم الحماية التي وفرها البحر سواء من الشمال او الشرق فقد تميزت سواحل مصر بوجود عدد من الثغور والمنافذ اتصلت مصر عن طريقها بالحضارات القديمة خاصة في جزر البحر المتوسط وبلاد اليونان وبلاد الشام والعراق ،ولم تقف الصحارى حائلاً دون اتصال مصر بهذه المناطق بل اخترق الصحراء الشرقية عدد كبير من الاودية ربطت بين الوادي والبحر الاحمر وهذه الصحاري الوعرة احياناً ابرزت بطريقة اخرى غنى الوادي .

يلاحظ ان الموقع الجغرافي كان له الدور الرئيسي في اصالة الحضارة المصرية ،فهناك اربع ظاهرات اثرت في انسان المجتمع المصري القديم هي الواحات والصحراء الجافة والشكل الطولي ونهر النيل .فمصر واحة صحراوية وفي ظل مناخ صحراوي لابد من توفر ثلاث عوامل لقيام الواحة هي المياه والارض الصالحة للزراعة والمجهود البشري هذه العوامل تعمل متشابكة فغياب احداهما يؤثر في العاملين الاخرين ،فالمياه بدون الارض الصالحة للزراعة تصبح مستنقعات وقد تحققت هذه الصفة في العصور الحجرية القديمة ،والارض الصالحة بدون المياه تصبح جرداء ،ثم الارض والمياه بدون المجهود البشري لا قيمة لها .

اما اهمية نهر النيل فيعد مصدر رئيسي للمياه في بيئة جافة بشكل عام ،وكان فيضان نهر النيل يأتي في يوليو ويصل الى قمته في اغسطس بعد وصول مياه هضبة الحبشة وبعبارة اخرى يزامن وصول الفيضان ارتفاع درجات الحرارة في مصر، فعندما تتحول الارض المصرية الى بركة من المياه لا تلبث الحرارة العالية ان تصل بها الى الجفاف الكامل، وفي اثناء فصل الشتاء عندما

ينخفض منسوب النهر ،فهناك الوسائل البدائية التي يمكن استخدامها لإمداد الارض الزراعية بالمياه عن طريق الري .

ونأتي الى الجانب الاخر لنهر النيل فهو مصدر الطمى الذي اعطى الارض اللون الاسود ووفر لها الخصب .

اما عن دور الانسان فقد بدأ بالاستقرار أول الأمر على الهضبة الصحراوية حول مناطق المياه ،ولم يبتعد كثيرا عن النيل حتى يضمن عد فقدان الكثير من الاراضي الصالحة للزراعة ،وعى اطراف الاراضي الزراعية المتاخمة للصحراء شيد المصريون قراهم ،وذلك لعدم نجاحهم في اقامتها فوق الهضبة او مكان مرتفع في مأمن عن الفيضان ، ولاشك ان المناخ الجاف من شانه معيشة الانسان المصري القديم في سكن للحماية من هذه الظروف.

اما عن الشكل الطولي لمصر ،فهي خط مستقيم في اغلب الاحوال ومتعرج احياناً، ويمثل هذا الخط الوادي الذي ينتهي بمثلث مقلوب وهو الدلتا قاعدته في الشمال بطول 240كم ورأسه في الجنوب ،هذا الشكل الطولي له ابعاد جغرافية مختلفة ،فمعظم الاراضي الزراعية قامت في الشمال ،كما ان هذا الشكل ليس له طريق غير النيل كان يعمل في الاتجاه المضاد ،ويساعد على الانفصال وتفتيت السلطة المركزية ،ومن الصعب على اي حاكم ان يمارس بنشاط اي سلطة محلية في مناطق تبعد عن العاصمة اكثر من 1000كم.

لا يعرف بالضبط اصل الانسان المصري القديم في العصور الحجرية القديمة ،غير انه بعد انقسام البشرية الى سلالات قديمة في العصر الحجري القديم الاعلى امكن التعرف على نوع من الانسان عاش في مصر في حوض كوم امبو وهو صاحب الحضارة السبيلية وهي فرع من سلالة البحر المتوسط عاش اصحابها بعد ذلك في العصر الحجري الحديث ،وحسب راي (جارود) فان الانسان الذي عاش في مصر في العصر الحجري القديم ربما كان من نوع نياندرتال.

ولم تعرف مصر التنوع السلالي الا منذ عصر ما قبل الاسرات فاصبح عنصر الشمال وعنصر الجنوب يمثلان فرعين من سلالة واحدة تجمعهما صفات مشتركة وان لكل فرع صفاته الخاصة ،ويرى البعض ان سكان مصر في هذا العصر من اصل محلي غير ان الوادي بسبب خصبه اجتذب كثيراً من الهجرات على مدى التاريخ الطويل ،اذ تقدم الليبيون من الشمال الغربي ،وتسرب الساميون من الشرق بالإضافة الى هجرات اخرى متعددة وفدت الى مصر من الجنوب والجنوب الغربي حيث حملت الى الوادي العناصر النوبية والليبية ،وقد حافظت مصر على نقاوتها الجنسية حتى نهاية العصور الفرعونية وما تلاها من عصور حتى عندما تأثرت بالإغريق الذين استقروا في شمال وغرب مصر، ظلوا في هذه المناطق بعيداً عن السكان الاصليين .

وفي العهد الاسلامي تأثرت بموجات من الهجرات عن طريق شبه الجزيرة العربية ،ولم تغير هذه الهجرات من صفات المصريين ،اذ ان العلاقة بين وادي النيل الأدنى وشبه الجزيرة علاقة قديمة تعود الى عصور ما قبل التاريخ .

وهكذا ومنذ ستة الاف سنة او تزيد لم يكن هناك تغير في صفات الانسان المصري حتى بات من الصعب على المرء ان يفرق بين تقاطيع تماثيل مصر القديمة وتقاطيع وجوه كثير من الفلاحين الذين يعيشون اليوم في قرى الصعيد.

المصادر

1.الجغرافية التاريخية دراسة اصولية تطبيقية ،محمد الفتحي باكير محمد ،دار المعرفة الجامعية ،مصر ،1999م.